أثر سياق الحال في الدلالة على الزمان في التعبير القرآني

الأستاذ الدكتور
رياض كريم عبد الله البديري
الباحث
مؤيد عبد المنعم موسى الشميساوي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

أثر سياق الحال في الدلالة على الزمان في التعبير القرآني

الأستاذ الدكتور
رياض كريم عبد الله البديري
الباحث
مؤيد عبد المنعم موسى الشميساوي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

مقدمة:

يرتبط الزمان بالفكر النحوي ارتباطاً وثيقاً منذ نشأة علم النحو، وقد حاول النحاة العرب جاهدين تحديد أبعاد الزمن في التركيب النحوي، فعولوا كثيراً على الصيغة الصرفية للأفعال في إدراك الدلالة الزمنية، فـ (ذهب) يدل على الماضي، و(يذهب) على الحال أو الاستقبال، و(اذهب) للاستقبال على خلاف بينهم.

وقد حاولوا في بعض الأدوات أن يضعوا لها دلالة زمنية مطردة كما في (إذا) الشرطية، فإنهم عندهم تدل على الزمان المستقبل، فإن تلاها الماضي مثلاً صرفته للمستقبل، من دون ملاحظة ظروف الخطاب وملابساته في كثير من الأحيان، وكذلك (إذْ) الظرفية، تركزت عناية النحاة فيها على الحكم الإعرابي وهو البناء، وأولوا إضافتها إلى الجمل عنايةً كبيرةً، وهي عندهم بوجه عام تدل على الزمن الماضي، مع إغفال شطر مهم من عناصر الدلالة الزمنية، وهو الحدث الكلامي بظروفه وملابساته.

وكذلك أسلوب التحضيض، فإنهم صبّوا اهتمامهم في إدراك البعد الزمني فيه على صيغة الفعل، فإن جاء بعد (لولا) التحضيضية مثلاً فعل ماضٍ فالتوبيخ، أو مضارع فالتحضيض والحث، إذ لا يصلح سواه، بيد أنهم لم

يتحدثوا لا من قريب ولا من بعيد عن سياق الحال الذي يمثل الأحوال والملابسات التي حفت بالقول، فجعلته دالاً على التوبيخ مثلاً، أو على الحث والتحضيض، مما يدل أن الصيغة الصرفية هي الأخرى مفتقرة إلى أبعاد الموقف الكلامي لتدل على زمن ما، أما هي بمفردها فليست قادرة على إضفاء دلالة زمنية معينة، وهذا الأصل يطرد في سائر الأفعال، ومنها (كان)، فليس من اللائق بها أن يقال إنها فعل ماضٍ، فقد ترد في تراكيب كثيرة في لغة العرب، وليست دالة على زمن ماضٍ منقطع، بل قد تدل على المستقبل، وقد تدل على التكرار، أو على الإطلاق من الزمن، وكل ذلك بمعونة القرائن الخارجية والقولية معاً.

وهذا البحث منعقد للجواب عن سؤال مفاده: هل يمكن تحديد الدلالة الزمنية في التركيب النحوي العربي ولا سيما في القرآن الكريم، بوساطة دلالة الصيغة الصرفية للأفعال؟ أو بوساطة قاعدة مستندة إلى دلالة أداة شرط، أو ظرف، أو أداة تحضيض؟

هذا ما سيحاول الباحث بيانه مختاراً في هذا الميدان (إذا) الشرطية، و(إذ) الظرفية، و(كان) الناسخة، و(أسلوب التحضيض) ممثلاً له بـ (لولا) و(لوما)، والمكي والمدني وارتباطهما بالزمان عند المفسرين، وسيكون الحديث مقتصراً على النصوص القرآنية الكريمة.

بين يدي البحث:

من المعروف أنَّ الزمان من مكونات الموقف الكلامي وعناصره، وهو وثيق الصلة به بوصفه من العوامل والظواهر ذات العلاقة بفهم أبعاد الخطاب(١).

وللزمان مباحث متعددة في اللغة العربية من جهات متعددة، وهذه الجهات إمّا متعلقة بالنظر في أبنية الكلمة قبل دخولها في التركيب، وهذا هو المعبر عنه بـ (الزمن الصرفي)(٢)، وإمّا أن تكون دلالة الزمن مرتبطة بالسياق المقالي في

الكلام، وذلك كالأدوات التي تصرف الفعل إلى دلالة زمنية معينة نحو (قد) التي إذا باشرت الماضي دلت على تحقيق مدلوله، أو قرب حصوله وتوقعه(٣).

كما أن السين وسوف تخلصان المضارع للمستقبل وتعيّنانه به(٤)، وهكذا كثير من القرائن اللفظية كأسماء الزمان (اليوم، غد) ونحوها، وهناك دلالة زمنية مأخوذة من المعنى المعجمي، كأسماء الأيام والشهور، وكالأحداث الكبرى المرتبطة بوقائع كبيرة نحو عام الفيل وغيرها، وهذا ما عبّر عنه بعض الباحثين بـ (الزمن المعجمي)(٥).

وثمة مدلول آخر للزمن عند النحاة والمفسرين لا يسعف في تحديد أبعاده ومضامينه أي دليل لفظي في الكلام، بل تتم فيه معرفة الزمن، والوقوف على تفصيلاته بوساطة الظروف والملابسات الخارجية التي تأطّر بها الكلام، وكانت مسرحاً له، وهذه الدلائل الخارجية إذا تدافعت مع الصيغ الزمنية، كانت الغلبة للقرائن الخارجية الحالية في إضفاء الدلالة الزمنية وفرضها على النص(٦).

وهذا أساس مهم ينبغي لدارس اللغة التنبّه له، والحاصل أن السياق بنوعيه المقالي والحالي هو الذي تترشح منه الدلالة الزمنية في التركيب، وهو المعبر عنه بـ (الزمن النحوي)(٧).

أولاً: دلالة (إذا) على الزمان في سياق الحال:

ذكر النحاة لـ (إذا) استعمالات عدة(٨)، منها أن تكون ظرفية تضمنت معنى الشرط دالة على المستقبل غالباً، نحو: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ﴾[٩]، ومنها أن تتجرد للظرفية نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾[١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا

مَوَىٰ ﴿١١﴾ ﴾[١١]، ومنها أن تكون (إذا) للمفاجأة، نحو: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[١٢]، ومن خصائصها التي تنماز بها أنَّها إن استعملت شرطية آذنت بتحقق شرطها في الغالب، بخلاف (إن) فإنَّ شرطها يكون محتملاً مشكوكاً(١٣).

والحديث عنها في هذا الموضع أن تكون شرطية، وحينئذ ما دلالتها الزمنية؟ هل تدلّ على الاستقبال، أم على الماضي؟ وهل لسياق الحال أثر في دلالتها الزمنية؟

أ- دلالة (إذا) على الماضي في سياق الحال:

الأصل في (إذا) الشرطية أن تكون للزمن المستقبل(١٤)، وإن كان شرطها فعلاً ماضياً من حيث الصيغة الصرفية، كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾[١٥]، وقد يكون شرطها ماضياً من حيث الصيغة، ودلالته الزمنية السياقية ماضية أيضاً، ولم تكن (إذا) لتصرفه للاستقبال، وإنما يتم تحديد زمنه بوساطة الظروف والملابسات الخارجية التي كانت مسرحاً للخطاب.

وهذه القرائن السياقية الخارجية هي مناط الدلالة الزمنية، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾[١٦]، والملاحظ في الآية الكريمة أن شرطها (رأوا) قد جاء بلفظ الماضي صيغةً، والقاعدة النحوية تشير إلى أنَّ الماضي إن وقع شرطاً لها، كانت دلالته الزمنية على المستقبل- كما مرَّ قبل قليل- إلا أنَّ (الرؤية) و(الانفضاض) كليهما متعينٌ في المضي في الآية، وذلك استناداً إلى القرائن التأريخية المتصلة بالموقف الكلامي(١٧)، لأنّ كلاً من الرؤية والانفضاض سابق على نزول النص الكريم، ولّما تدافع مدلول صيغة الفعل الواقع شرطاً لـ (إذا)، مع سياق الحال المتمثل بالظروف المحيطة بالكلام، كانت

الظروف المحيطة هي التي تضفي دلالتها الزمنية التي أرادت(١٨)، وتخرق القاعدة النحوية التي ترصد الدلالة الزمنية التي وجهت عنايتها لضوابط لفظية شائعة في الموروث النحوي، التي مفادها أنّ (إذا) تصرف الماضي للمستقبل، لكنّ هذه القاعدة لا تطرد عندهم، وأنَّ الدلالة الزمنية رهينة القرائن السياقية الخارجية في كثير من الأحيان(١٩).

ومن الأفعال الماضية التي وقعت شرطاً لـ (إذا) ودلت على المضي باقية على أصلها موافقة في زمنها لصيغتها، قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟﴾(٢٠)، قيل: نزلت هذه الآية في سبعة من أصحاب النبي- صلى الله عليه وآله- أرادوا المسير معه إلى الجهاد، وليس لديهم رواحل يركبونها، وقيل: نزلت في أبي موسى الأشعري ورهطه، وقيل فيها غير ذلك أقوالاً شتّى، وما يهم الباحث أن يبيّن دلالة الماضي بعدها في هذه الآية، فإنَّ (أتوك) شرطها، وجوابها هو (قلت) أو (تولوا) على بعض الأقوال(٢١)، وكل من هذه الأفعال قد جاء بلفظ الماضي، ولم تكن (إذا) لتصرف زمنه إلى المستقبل وفقاً للقاعدة؛ لأن سياق الحال الذي يتصل بالآية يشعر بوقوع تلك الأحداث في زمن مضى، زيادة على المعطيات التأريخية التي ذكرت أنَّ هذه الأحداث وقعت قبل نزول الآية(٢٢)، فالنص الكريم قد وصف أحداثاً مضت مستعملاً في كلامه (إذا) دالة على الماضي.

معنى ذلك أن تحديد الدلالة الزمنية في التركيب- إذا خلا من دليل مقالي- مستمد من الملابسات الخارجية، التي هي الأخرى استمدت من التأريخ، وطالما كانت القرائن التأريخية لها أثر كبير في تحديد الدلالة الزمنية(٢٣).

وهو ما حدا بالنحاة والمفسرين أن يعترفوا بالحاجة إلى الاسترشاد بأي دلالة سياقية ليتوصلوا بها إلى دلالة زمنية ما بقطع النظر عن الهيئة التي بنيت عليها الكلمة، وبصرف النظر أيضاً عن اقتضاء (إذا) للزمان المستقبل(٢٤).

وقد جاء في الكتاب العزيز على هذا النمط آيات كثيرة استعملت فيها (إذا) دالة على المضي بمعونة الموقف الكلامي المستمد من حقائق تأريخية لا جدال فيها غالباً نحو: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ ﴾[٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾[٢٦]، وفي سياق ذم آل فرعون يقول: ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ ﴾[٢٧]، فهذه الآيات المباركة- وغيرها كثير- سيقت متحدثة عن أقوام مضوا في أزمان غابرة، فدلّ ذلك المنحى التأريخي الذي يُعدُّ صورة لسياق الحال، أنَّ الأفعال التي وقعت في سياق (إذا) باقية على دلالتها على المضي استرشاداً بالملابسات الخارجية التي أحاطت بالنصوص القرآنية، و(إذا) تابعة للملابسات الخارجية ههنا.

وذلك أنَّ الآية في سورة النمل تتحدث عن حال سليمان- عليه السلام- وقومه، وهم في زمن مضى على نزولها، وأمّا الآية الثانية فهي تنهى المؤمنين عن معتقد فاسد كان المنافقون يذهبون إليه، وهو أنَّ من يجلس في بيته غير متعرض لقتال أو سفر لا يدركه الموت، وزمن (إذا) في الآية ماضٍ بناء على أنَّ ذلك القول صادرٌ من رأس المنافقين عبد الله بن أُبي وأصحابه قبل نزول النص هذا؛ لذلك نهي المؤمنون عن قول مثله(٢٨)، ويعضد إرادة المضي في الآية نهيهم عن شيء قد كان بـ (لا تكونوا كالذين)، وهكذا تتحدث الآية الثالثة عن فرعون وقومه، وتصف حالهم للمسلمين ليستلهموا منها الدروس والعبر، وهي حال في زمن مضى.

ب- دلالة (إذا) على الزمن المستمر في سياق الحال:

تفيد (إذا) الزمن المستمر في سياقها التي تجيء فيه، كما أفادت الزمن الماضي في ضوء سياق الحال، والمؤشرات الخارجية السياقية أيضاً في إفادة

الاستمرار لها حضور كبير، وهذا ما أكده الرضي (ت ٦٨٨هـ) في الأفعال التي تدل على العادات والسجايا، وقال بكثرتها في الاستمرار(٢٩)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾(٣٠)، فإن استرجاع هؤلاء الصابرين الذين استحقوا الصلاة والرحمة، إنّما هو (الاسترجاع عند المصيبة) من قبيل السجية المستمرة، والملكة الراسخة في صغير المصائب وكبيرها، فأضفى سياق الحال دلالة استمرار الزمن في الماضي والحاضر والمستقبل(٣١)، وهذا أمرٌ معلوم من خارج الجملة، مفهوم من تصور حال الصابرين، وتصور المصيبة، وأنَّه لا يعقل إرادة ذلك في زمن دون آخر، وفقاً لما جرت عليه العادة والعرف، وهذا نظير قولك: زيدٌ إذا حدث صدق، وإذا وعد وفى، وكقول أبي تمام:

وإذا غدا المعروف مجهولاً غدا معروف كفّك عنده معروفا(٣٢)

فإن المقام يقضي بأن ممدوحه معروف بالكرم والعطاء؛ لأنه في سياق مدح له، وهذا المعروف غير منقطع، وكذا قول الكميت:

مغاويرُ أبطالٌ مساعيرُ في الوغى إذا ما الخيل لم تثبُتْ وفرَّ أريبُها(٣٣)

دلت (إذا) أيضاً على الاستمرار، لأنه يريد أنَّ هؤلاء كلما فرّ الناس من سعير الحرب كانوا هم الثابتين الأبطال المغاوير، وانقطاع زمن (إذا) ينافي قصد الشاعر تماماً.

وعلى هذا المنوال جاءت آيات قرآنية كثيرة كشف سياق الحال عن دلالتها على الاستمرار كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ ﴾(٣٤)، فالآية في سياق ذم هذه الحال المستمرة التي لا تفارق ذلك الساعي فساداً في الأرض، ومثلها في دلالة الاستمرار قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾[٣٥]، وفي هذا يقول أبو حيان (ت٧٤٥هـ): ((الإنسان جنس، والمعنى أنَّ الذي أصابه الضر لا يزال داعياً ملتجأً راغباً إلى الله في جميع حالاته كلها))(٣٦)، وكذلك: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾[٣٧]، فإن الغرض الذي يشعر الخطاب بذمه ونعيه على الإنسان هو ظاهرة مستمرة لدى الإنسان، وهو ديدن المستكبرين، فهم لا يعرضون فيما مضى وحسب، أو فيما يأتي، بل الآية ليست في سياق تحديد زمن دون غيره، وهذا ظاهر غاية الظهور، بل هي في سياق الدوام والاستمرار(٣٨).

وقد تكون إفادة الدوام والاستمرار متفاوتة من حيث الظهور، ولا أدل منها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ﴾[٣٩]، فالآية تصور حال الإنسان بما هو إنسان يبطر إن أصابته نعمة، وهذا حال الأكثرين من الخلق إلا من رحم ربي(٤٠)، وحال الفرح هذا والبطر مستمر في عباد الله تعالى(٤١)، وفيما مرَّ من الآيات لم يذهب أحدٌ من النحاة أو المفسرين إلى دلالة زمنية ما، سواء كانت في آية ظاهرة في المضي، أو في الاستقبال، أو في الدوام والاستمرار، إلا بوحي من ملابسات الخطاب، وما تظافرت عليه قرائن الأحوال المعبرة عن السياق المواقفي، حين يخلو النص من المحددات اللفظية التي تصرفه إلى دلالة زمنية خاصة.

ج- دلالة (إذا) على التكرار في سياق الحال:

إذا استنطقت بعض الآيات القرآنية بشيء من التأمل، ألفيت أنها تفيد التكرار مع (إذا)، فضلاً عن دلالتها على التعليق الذي يقتضيه الشرط بطبيعته التركيبية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[٤٢]، وكأن إفادة

التكرار في الاستئذان مفهوم من طبيعة نزول الآيات على التعاقب، فمتى تنزل سورة يستأذنوك، يقول أبو حيان: ((وليست هنا إذا تفيد التعليق فقط، بل انجرَّ معها معنى التكرار، سواء كان ذلك فيها بحكم الوضع أو أنَّه بحكم غالب الاستعمال لا الوضع))(٤٣)، وكأن أبا حيان يشير بـ (غالب الاستعمال) إلى مقامها التي استعملت فيه، وسياقها التي اتصلت به، فهو الكاشف لمعنى التكرار أما إفادتها التكرار بحكم الوضع، فهو مما لا يراه الباحث قريباً من الواقع الدلالي لها، إذ لو كان ذلك كذلك، لاطّرد التكرار في سائر الأمثلة المتقدمة.

وما أروع قول الفرزدق في حب النبي- صلى الله عليه وآله- وأهل بيته الطاهرين في ظهور (إذا) فيه للتكرار:

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والأسدُ أسدُ الشَّرى، والبأس محتدم(٤٤)

فإنهم- عليهم السلام- كلما اشتدت أزمة أو محنة كانوا هم غياثاً للناس وأعلام هدى، فإذا في قوله ظاهرة في التكرار، فضلاً عن التعليق، على أنَّ ((في النحو كثيراً من الاضطراب في تحديد دلالة (إذا) ولا مفر في هذه الحالة من الاحتكام إلى السياق، وإلى مضمون الجملة)) (٤٥).

ثانياً: دلالة (إذْ) على الزمان في سياق الحال:

شاع بين النحاة القدماء أنَّ (إذْ) ظرف لما مضى من الزمان، وكأنهم في هذا القول قد تابعوا سيبويه الذي اقتصر على ذكر استعمال (إذْ) للماضي، ولم يتعرض لاستعمالها للمستقبل، يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ): ((وهي لما مضى من الدهر))(٤٦)، وقد اقتصر سيبويه في الحديث عن (إذْ) مع الماضي، مع ((أنَّ تثبيت المعنى للماضي مع (إذ) إنّما هو حكم صدر عليها من سياق خاص وفي ظرف وقرائن خاصة، ثم اطرد الحكم بلا نظر إلى وضعها في سياق مختلف، وقد أدى هذا الحكم إلى تأويل معنى (إذ) كلما وردت في سياق يدلّ على

المستقبل مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾[٤٧])[٤٨]، ولعل من أوائل من نبّه على جواز مجيئها لغير الماضي هو ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)(٤٩)، وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) إذ يقول: ((وقوله : ((إذ يخرجك قومك)) استعمل فيه (إذْ) موافقة لـ (إذا) في إفادة الاستقبال، وهو استعمال صحيح، غفل عن التنبيه عليه أكثر النحويين))(٥٠).

وتابع ابن مالك على هذا القول الرضي الاسترابادي (ت ٦٨٨هـ)، فأجاز وقوعها مع المستقبل(٥١)، وكذلك المرادي (ت ٧٤٩هـ)(٥٢)، وابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) مخالفاً الجمهور في عدم وقوعها للمستقبل(٥٣)، وصححه السيوطي (ت ٩١١هـ)(٥٤).

وذهب بعض الباحثين المحدثين إلى جواز مجيئها (إذْ) للمستقبل ((لأنَّ الأدوات يقع بعضها موقع بعض لاعتبارات بلاغية تدرك من الموقف، وتتضح من السياق، ويشير إليها الأسلوب))(٥٥)، والباحث أيضاً يميل إلى ذلك القول ويتبناه، لكثرة ورودها في المستقبل في آيات الكتاب العزيز بما لا يدفع، وسيأتي الاستشهاد بذلك- إن شاء الله تعالى- ، وهي ظاهرة جلية في إفادة الاستقبال، ولأن مانعاً لم يمنع من ذلك، وعدم التقدير أولى منه، وإذا صلح واستقام المعنى، فهو الغاية المتوخاة.

إن من وكد الباحث أن يبرهن أنَّ (إذْ) إنما تظهر في دلالة زمنية ما بوساطة الملابسات الخارجية، والظروف المحيطة بالنص أياً كانت، وهذه الظروف هي عماد المشاركين في الحدث الكلامي في توجيه دلالة (إذْ) الزمنية، فإنْ كان في الكلام ما يشير من الألفاظ ويكون قرينة على زمن دون آخر، ففي هذه الحالة تكون القرائن اللفظية أو سياق المقال كاشفاً عن الدلالة الزمنية، ولا كلام للباحث في هذا الشأن، أو هذا النوع من الخطاب القرآني، وإنّما ينصب حديثه حال خلو الآية من أي سياق بالباء أو لحاق في الكلام.

ومما جاء فيه (إذْ) للمستقبل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾[٥٦].

فقد ذهب ابن عاشور إلى أنَّ الماضي (تبرأ) بعد (إذْ) يدل على الاستقبال، مع أنَّ (إذْ) عند جمهور النحاة وضعت للماضي، إلا أنه يرى أن التحقيق يقتضي إفادتها للمستقبل، لأن الأحوال التي ذكرتها الآية المباركة من تبرؤ المتبوعين من التابعين لهم، والتنصل منهم، وكذلك رؤية العذاب الذي يشعر به سياق الآيات المتصلة بها، وتقطع الأسباب أسباب اتصالهم ببعضهم، إنما يتصور ويحصل في الآخرة، وهو لا محالة مستقبل على نزول النص فلذلك ساهم سياق الحال بشكل كبير في إنتاج الدلالة الزمنية في هذا النص الكريم[٥٧].

وعلى هذا النحو أيضاً قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ...﴾[٥٨].

مقام القول في ((إذ قال)) يوحي بأنه يكون يوم القيامة، وإن جاء بلفظ الماضي (قال)، وذلك بملاحظة عناصر الحدث الكلامي، التي هي التذكير بنعم الله تعالى على عيسى عليه السلام، من الولادة من غير أب الذي يشعر به (وعلى والدتك)، والتأييد بروح القدس، وتكليم الناس، وتعليم الكتاب والحكمة، وسائر النعم الأخرى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى هو توبيخ للنصارى إذ أسرفوا في غلوهم بعيسى عليه السلام ما لم يفعله قبلهم أحد من الأمم، والتذكير بالنعم، وتوبيخ النصارى إنما يتصور يوم القيامة لا في الدنيا، وذلك كله مستقبل على نزول النص الكريم، وقد أكد المفسرون وقوع هذا

القول يوم القيامة، وإن ورد بلفظ الماضي(٥٩).

واللافت للنظر في الآية المباركة أنَّ (إذ قال)، و(إذ أيدتك)، و(إذ علمتك) كلها وردت بلفظ الماضي، إلا أن (إذ قال) لا يجادل فيه أحد أنه أريد به المستقبل، وأن (إذ أيدتك)، و(إذ علمتك) كلهما مراد به الزمن الماضي، ولم تستطع القرينة النحوية المقررة وحدها إنتاج الدلالة إلى أمور دلالية من العقل أو من المقام المحيط بالجملة(٦٠).

وما يشهد لذلك أن قوله تعالى (إذ تخلق) ورد بلفظ المستقبل (المضارع) مع أنَّه في سياق الامتنان بالنعم التي وردت بلفظ الماضي (إذ أيدتك) و(إذ علمتك)، و(إذ كففت عنك)، كما جاء (إذ تخرج الموتى) أيضاً بلفظ المضارع مع أنه في السياق نفسه الذي يعدد فيه الحق تعالى نعمه عليه في الدنيا، وهو زمن ماضٍ إذا ما قيس إلى القول (إذ قال).

وإذن وردت في الآية صيغ زمنية ماضية في أصلها، إلا أنها أريد بها المستقبل، ووردت صيغ أخرى مستقبلية، وأريد بها المضي، وهذا يزيد الباحث يقيناً أنَّ القول الفصل في تحديد الزمن هو قرينة السياق التي تعد كبرى القرائن، وأنها عند التدافع هي التي تفرض نفسها من خلال عناصر السياق الحالي، وهي أمرٌ يدرك من خارج الجملة، فيقصي مدلول الصيغة إلى مدلول آخر هو يريده(٦١).

كما أن الدلالة الزمنية في الآية متفاوتة حتى في الصيغ الماضية التي بقيت على أصل دلالتها الماضية، وإنَّ (التأييد) بروح القدس سابقٌ على (تعليم) الكتاب والحكمة، و(التعليم) سابق زمناً على (خلق) الطير؛ لأنه (خلق الطير) مرحلة متقدمة جداً في إظهار الطاقات لا يعقل أن يخلق مباشرةً من لم يؤيده الله، ومن لم يعلمه الكتاب والحكمة، وكذا إبراء من لا برء له، ثم إخراج الموتى- بحكم العرف والواقع- يترتب على تلك الملكات والكرامات والتأييد

الذي حصل عليه عيسى عليه السلام.

ثالثاً: دلالة (كان) على الزمان في سياق الحال:

اتفق النحويون على أن (كان) تدل على الزمن، ثم تباينت أقوالهم في تحديد هذا الزمن، هل يدل مع (كان) على الانقطاع أو غيره في الماضي، وكذلك اختلفوا في دلالتها على الحدث، هل تمحضت للزمن دون الحدث، فلذا سُمِّيَتْ ناقصة، أو لأنها مفتقرة إلى الخبر المنصوب لاتمام الفائدة من التركيب، فلأجل افتقارها هذا كانت عندهم ناقصة؟

وغاية ما يدل عليه كلام سيبويه أنَّك إنّما ((أدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى))(٦٢)، وذهب الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) إلى أنَّ ((كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماضٍ على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ))(٦٣)، أي أنها في نفسها غير مقيدة بزمن سوى المضي المطلق، ويبدو أن الزمخشري يشير إلى أصل وضعها، لا إلى استعمالها في سياقات متنوعة، وهذا ما يؤكده الرضي (ت ٦٨٨هـ) بقوله: ((دلالة كان على الحدث المطلق أي الكون: وضعية، ودلالة الخبر على الزمان المطلق: عقلية))(٦٤)، أي يُحتكَمُ في ضبط الدلالة الزمنية فيها إلى القرائن العقلية الخارجة عن دلالة الألفاظ وضعاً، وهذا ملحظ يدلُّ على حس لغوي عال، وهو ما يساعد عليه عرف أهل اللغة وطبيعة استعمالهم(٦٥).

أما نقصها عن سائر الأفعال المعبّر عنها بـ (التامة)، فإنها لا تدلّ على الحدث(٦٦)، أو افتقارها إلى المنصوب، فهذا ما لا يتعلق للباحث فيه غرض، وهي مسألة خلافية بين القدماء أنفسهم(٦٧)، وكذلك المحدثون قد تباينت أقوالهم في ذلك(٦٨).

وما يعني الباحث هو الكشف عن المعطيات الزمنية لـ (كان) في ضوء الموقف الكلامي، وسياق الحال الذي تتصل هي به في تركيب من التراكيب،

وما يميل إليه الباحث أن (كان)- كما سائر الأفعال- إنما تكتسب دلالتها الزمنية من القرينة السياقية التي يفرزها المقام الاستعمالي، وليست ثمة قاعدة صحيحة مطردة ترصد الزمن في هذا التركيب (كان)، بحيث لا تختلف تلك القاعدة أبداً، وهذا ما أشار إليه الرضي الاسترابادي في النص السابق بأن دلالة الزمن فيها عقلية، أي مما تحددها إجالة النظر في عناصر الموقف الكلامي، وإدراك طبيعة الأشخاص المتخاطبين، وما مقاصد هؤلاء المشاركين من مخاطِب ومخاطَب وسامعين.

وتأسيساً على أنَّ حدود الزمن الماضي- غالباً- في جملة (كان) إن خلت من قرائن لفظية، فإنها موكولة إلى عناصر حالية يبينها الموقف، ويسعف في رصدها المقام(٦٩)، من أجل ذلك كان قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾(٧٠)، محل اضطراب لدى المفسرين، فقيل (كان) معناها كان في علم الله من الكافرين(٧١)، وقيل كان بمعنى صار، وقيل غير ذلك أقوالاً شتّى، قال ابن عاشور: ((وقد تحير أكثر المفسرين في بيان معنى الآية من جهة حملهم فعل (كان) على الدلالة على الاتصاف بالكفر فيما مضى عن وقت الامتناع من السجود))(٧٢)، وغاية ما تدلّ عليه (كان) ههنا أنَّ إبليس قد صدر منه الكفر، واتصف به زمن مضى، دونما تعرض لمقدار هذا المضي، وبيان مدى استمراره، فهو قد كفر فيما مضى من الزمان قبل نزول الآية المباركة(٧٣).

وتارة تأتي كان فتدل على الماضي المنقطع نحو: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا ﴾(٧٤)، فهذه القوة والسطوة، وكثرة الأموال والأولاد، وإن كانت على وجه تفيد ثبوت هذه الصفات عندهم إلا أنَّها انقطعت ولم تكن لتستمر لديهم(٧٥)، لكن الآية تدل من حال

هؤلاء مقارنة مع حال المخاطبين، أنها في صدد التهديد بالإهلاك لمن هم أضعف حالا من السابقين الذين أوتوا كل أسباب القوة، ومع كل هذا انقطعت تلك الأسباب، وأهلكوا لما عصوا(٧٦)، ولم تنفعهم القوة والأموال والأولاد؛ لأنهم لا يمكن أن يستمروا على تلك الحال، ومن المعلوم أنَّ كل ما يُؤتى الإنسان من أسباب القوة لا تدوم، ولابد يوماً يذهب وتذهب هي أيضاً، فلذا كانت (كان) دالة على الانقطاع.

وقد تدل (كان) على عادة مطردة في الموصوف لا يكاد يبارحها، وذلك ما يقضي به السياق المقالي والحالي، كقوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾(٧٧)، ويفهم من ذلك السياق أن صنع فرعون وقومه الهياكل والمباني وتشييدهم الأهرام كان دأبهم وديدنهم، وأنها كانت عادة لا يفارقونها، فضلاً عن دلالة المضارع في خبر (كان) الذي يشعر بدلالة التجدد وتكرار الحدث(٧٨)، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾(٧٩)، فإن عذاباً بهذا الشكل المرعب، واستحقاق نار جهنم، وأنهم مهما حاولوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وذلك كله لتكذيبهم بمجيء ذلك اليوم وإنكاره، مما يشعر أنَّهم قد استنفدوا وسائل الهداية وأنكروا الآيات والبراهين جميعاً ودأبوا على تكذيبها لا أنهم كذبوا بها مرة واحدة، غير ملتفتين إلى ذلك الجرم الفظيع الذي ارتكبوه، فبه استحقوا ذلك العذاب الأبديّ، وهو ما يشعر به جو الآية وسياق حالهم، فالمقام مقام تقريغ وتوبيخ، مما يشعر أنهم كانوا مقيمين على هذه الصفة الذميمة (التكذيب) في الدنيا، وبما أن تكذيبهم في الدنيا مستمر، وارتكابهم أنواع المعاصي والموبقات كثير، ولا رادع لهم، كان عذابهم مناسباً له كذلك يتلاءم مع أفعالهم في دار الدنيا

وعنادهم فيها[٨٠].

وقد تدل (كان) على الزمن المستقبل أو الدوام والاستمرار بحسب ورودها في سياق معبر عن الحال، وهو (سياق الحال) مؤثر في هذا الزمن كما في التفصيل الآتي:

أ- دلالة (كان) على المستقبل في سياق الحال:

من معطيات السياق وظروفه الحافة بالكلام، أن تأتي (كان) ظاهرة في الزمن المستقبل خلافاً لصيغتها التي تدل على المضيّ وفقاً لوضعها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾[٨١]، لا يشك أحد من الناس أن الدلالة الزمنية السياقية لـ (كان) في هذه الآية الكريمة دالة على المستقبل، وهو يوم القيامة، فضلاً عن دلالة (يخافون يوماً) التي تدل على أن الخوف من شيء مستقبل، إذ الخائف إنما يؤرقه الأمر الذي يتوقع حصوله، زيادة على ذلك فقد عبّر القرآن الكريم بـ (مستطيراً) مجازاً(٨٢)، للإشارة إلى فشو ذلك الشر وانتشاره وشموله، وهذا إنما يتحقق في يوم هو يوم القيامة.

ويتساءل الرازي (ت ٦٠٦هـ)(٨٣) عن استعمال (كان) وإرادة (سيكون) في القرآن الكريم نحو: ﴿ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾[٨٤]، واحتمل أنّه أراد الماضي على معنى أنّه في علم الله تعالى (كان مستطيراً) وهذا التوجيه في غاية البعد عن روح النص وجوّه، إذ هو في مقام التهديد والوعيد بذلك اليوم، والتذكير والحث على اتقاء ذلك اليوم الجائي لا محالة، ومن روائع التعبير القرآني أنّه في هذه الآيات لم يذكر لفظ الآخرة أو القيامة صراحة، إلا أنّه لّما صور أحوال الناس في تلك المنازل وأهوال ذلك اليوم، كان انصراف الذهن ليوم آتٍ وهو يوم القيامة.

وقد يكشف المقام الاستعمالي للكلام، وسياق الحال الذي يتصل بالآية شيئاً آخر، وهو زيادة تقرير مدلوله في نفوس السامعين، كقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ

ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾[٨٥]، فقولهم هذا- كما يكشف عنه الموقف الكلامي- قبل غلبتهم التي ظنوها، و(كنا) لإرادة المستقبل، ولكنهم لّما كانوا قد أوتوا كل أسباب السحر في عصرهم، وثقوا بأنهم أعلم الخلق بهذا الجانب(٨٦)، فلا جرم هم الغالبون، فلذا أورد القرآن (كنا) تعبيراً عن ما يعتمل في نفوسهم، ولم يأتِ بـ (إن نكن)، مؤكداً أنَّهم كانوا على القدر من الجزم، ولكن الله تعالى يؤيد رسله.

ب- دلالة (كان) على الدوام والاستمرار في سياق الحال:

قد تأتي (كان) في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، تفيد الدوام والاستمرار وثبوت الصفة لموصوفها على نحو لا يتصور فيه الانفكاك بأي وجه من الوجوه، وعلى تعبير الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) أنَّها (كان) تشعر بالأزلية(٨٧)، وذلك في صفات الله تبارك وتعالى(٨٨)، فهي على ذلك ترادف (لم يزل) على حد قول صاحب الهمع(٨٩).

وقد جاءت على هذا النحو آيات كثيرة جداً في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[٩٠]، و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٤٢﴾ ﴾[٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[٩٢]، وغيرها في القرآن الكريم آيات كثيرة اقترنت (كان) بصفات الحق عز وجل، فأفادت الدوام والاستمرار والأزلية، وذلك بملاحظة مقام الموصوف تعالى وقدراته، وأنَّ المتلقين يعلمون علم اليقين أن هذه الصفات لا يمكن أن تزول عنه تعالى في أي زمن من الأزمنة، فلذلك حملت (كان) على الأزلية والثبوت، ولو سيقت الجملة بعينها لموصوف آخر، لما أفادت هذه الفائدة.

بناء على ذلك تكون إفادة الدوام والأزلية غير آتية من (كان) نفسها، بل يُفهم ذلك من ملابسات خارجية تتعلق بمؤهلات المخبر عنه، وأحواله، ولا فضل لكان نفسها، كما يؤكد ذلك الرضي الاسترابادي (ت٦٨٨هـ) ((أنَّ

الاستمرار مستفاد من قرينة وجوب كون الله سميعاً بصيراً لا من لفظ (كان)))(٩٣)، مما يدل على أن سياق الحال هو الذي يضفي على النص دلالته، ويعين على حد المعنى المراد، وذكر أبو حيان (ت٧٤٥هـ) في ثبوت الصفة لموصوفها في جملة (كان) ودلالتها على الاستمرار والدوام، وإن ذلك الثبوت مرده إلى خصوص أحوال الموصوف، قائلا: ((يعلم أنَّ هذه الصفة ثابتة له في الأزمان كلها من دليل خارج لا من حيث وضع اللفظ))(٩٤).

رابعاً: دلالة أسلوب التحضيض على الزمان في سياق الحال:

ذكر النحاة للتحضيض أربع(٩٥) أدوات هي (هلا) و(ألا) و(لولا) و(لوما)، والمراد بالتحضيض هو الطلب بحث وإزعاج، على العكس من العرض الذي يشعر طلبه بالرفق واللين(٩٦).

وإذا كانت للتحضيض اختصت بالأفعال، وجرت مجرى حروف الشرط في أنها تقتضي الفعل إما ماضياً أو مستقبلاً(٩٧)، إما لفظاً أو تقديراً(٩٨)، وذلك نحو قول الشاعر(٩٩):

تعدّون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوطرى، لولا الكميّ المقنعا

أي لولا عددتم فحذف الفعل لدلالة ما قبله، وأمّا مباشرتها (أدوات التحضيض) للأفعال فهو الكثير الغالب.

وما عليه النحويون أنَّ أدوات التحضيض لا سيما (لولا) إن وليها الماضي كانت لوماً وتوبيخاً، وإن وليها فعل المستقبل كان معناها التحضيض والحث(١٠٠)، وهذا يعني أنَّ الدلالة الزمنية في هذا النوع من التركيب خاضعة لأحد ذينك المعنيين (التوبيخ، أو التحضيض)، فإن فهم من سياق الكلام أنَّه توبيخ ولوم وتنديم فالماضي، وإن فهم التحضيض الذي هو بمثابة الأمر، فالمستقبل.

وفي الحقيقة إن هذا المعيار في بيان الزمن يعدّ من أوضح الواضحات على

التفات النحاة العرب إلى السياق الحالي؛ لأن التوبيخ، أو التحضيض إنّما يدرك من المقام والملابسات الخارجية التي أحاطت بالخطاب، لا من دلالة الألفاظ بحسب وضعها.

وقد جاءت لولا في القرآن الكريم متلوة بمضارع دالة على التوبيخ كقوله تعالى: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[١٠١]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[١٠٢].

فقوله تعالى: (لولا ينهاهم)(١٠٣)، و(لولا تستغفرون) ظاهران في التوبيخ(١٠٤)، واللوم على عدم نهي الربانيين فيما مضى، وكذلك الاستغفار، إذ تركوه في الماضي، مع أن الفعل بعدها في الآيتين قد جاء بلفظ المضارع، إلا أن دلالتها على الزمن منصرفة إلى الماضي؛ لأنَّ المقام قد كشف عن لوم وتوبيخ، يقول الرضي: ((وقلما تستعمل في المضارع، أيضاً، إلا في موضع التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله))(١٠٥)، وعادة ما يكون التوبيخ من وظائف المقام أو سياق الحال.

كما أنّها جاءت (لولا) مع الفعل الماضي، ولكنهم أوّلوها بالمستقبل استجابة لدواعٍ سياقية، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[١٠٦]، فقد ذهب ابن هشام (ت ٦٧١هـ) إلى أنَّ (أخرتني) في تأويل المضارع الدال على المستقبل لخلوه من التوبيخ، وانصرافه إلى العرض والتحضيض(١٠٧)، وهل هذا التأويل المخالف لظاهر الصيغ في الأمثلة المتقدمة إلا أثر لسياق الحال ومقام الاستعمال في رصد الدلالة النحوية في الأزمنة وحدّها.

وثمة ملحظ آخر للمعنى الزمني، واستثمار سياق الحال في معرفة أبعاده،

وهو ما يعرف بالمكي والمدني، وهذا النوع من البحث القرآني قد استأثر به علماء التفسير غالباً دون النحاة، وهو ما سيبينه الباحث في الفقرة الآتية إن شاء الله تعالى.

خامساً: المكي والمدني وعلاقتهما بالزمان في سياق الحال في التعبير القرآني:

ثمة طريقان لمعرفة المكي والمدني(١٠٨)، أحدهما: سماعي، وهو مختص بالرواية، ولا يتعلق للباحث غرض فيه ههنا، والثاني: قياسي، ((وهو ما وضعه العلماء من ضوابط وخصائص لما لم يرد فيه نقل قياساً على ما ورد فيه نقل))(١٠٩).

وهذا النوع القياسي عمدته النظر في طبيعة النص، ومقارنته بمقتضى حال أهل البلدين مكة والمدينة، إذ ((هذا الطريق- القياسي- يعتمد على معرفة الخصائص الموضوعية، والسمات الأسلوبية والبيانية، والضوابط الغالبة لكل من السور والآيات المكية والمدنية، وتلك الضوابط والظواهر مطردة حيناً، أو مبنية على الغالب كثيراً))(١١٠).

ولا شك أن ما يعني الباحث في مسألة المكي والمدني هو البعد الزماني الذي يمكن تحديد ملامحه الزمنية من الخصائص الأسلوبية للخطاب، وبالتعويل على تلك الخصائص يتم تحديد المخاطبين، بناءً على تكوينهم الثقافي والفكري، ومن ثم يمكن الوقوف على زمن النص القرآني إن كان نازلاً قبل الهجرة أو بعدها، وهو بهذا المفهوم يمثل أحد اصطلاحات ثلاثة لعلماء التفسير في حد المكي والمدني(١١١).

ثم إن فائدة جليلة تتعلق بالمكي والمدني هي معرفة الناسخ والمنسوخ(١١٢)، وهي تشير إلى عامل زمني، إذ الناسخ متأخر زمناً على المنسوخ، وقد استند إليه المفسرون والأصوليون(١١٣).

وقد وضع العلماء مجموعة من الضوابط التي من شأنها أن تتلاءم وحال المخاطبين مكيين كانوا أو مدنيين، ذلك أن أهل مكة كانوا- في الغالب- معاندين منكرين لوحدانية الله تعالى، جاحدين بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بخلاف أهل المدينة إذ كانوا- في الغالب- مؤمنين موحدين(١١٤)، فكانت الآيات القرآنية وفقاً لمقتضيات الأحوال تخاطب أهل مكة بآيات التوحيد والعقيدة وما شابه، وأما أهل المدينة، فخطابهم كان- في الغالب- منصرفاً إلى الأحكام الشرعية، ومعالجة ظاهرة النفاق التي تنيئ بخوفهم من الإسلام لقوته، الأمر الذي دعاهم إلى إخفاء كفرهم(١١٥).

وهذه الضوابط التي جعلها العلماء معايير في رسمها صورة لحال المخاطبين هي التي تصب في التعبير عن الإنكار والعناد، مثل (كلا) للردع، و(يا أيها الناس) وقصص الأنبياء وغيرها، وهو ما ينسجم مع حال المكيين أما السور المشتملة على الحدود والفرائض والإذن بالجهاد، فهي ترسم بعداً زمنياً آخر يدلّ على أنها نزلت بعد الهجرة في مجتمع مدني(١١٦).

وإنه لمن الممكن استثمار هذه الخصائص الأسلوبية في الخطاب، والسمات التعبيرية، لمعرفة المكي والمدني، ثم بعد ذلك معرفة بيئة النص ومكان نزوله، كما أمكن الباحث معرفة زمن النص القرآني، وسيأتي ذلك في مسألة المكان الآتية، ولا شكَّ أن الزمان والمكان والمخاطبين هم من عناصر الموقف الكلامي السياقي(١١٧).

الخاتمة:

إن أهم ما يمكن استخلاصه من نتائج هذا البحث هو ما يأتي:

- إن إذا الشرطية لا يمكن لها أن تدل على الزمن المستقبل في كل تركيب، وعلى أية حال، كما يوهم بذلك بعض أقوال النحويين، وأن إطلاق قولهم في دلالتها على الزمن المستقبل هو قول مبني على الغالب.
- اتضح أنه من غير الممكن إغفال سياق الحال إذا ما أريد الوقوف على دلالة

إذا الشرطية، وإذا ما تدافع سياق الحال مع الدلالة الوضعية لـ (إذا)، فإن سياق الحال هو الحاكم على الدلالة الزمنية وهو الذي يبينها ويحددها، فتارة تبقى (إذا) دالة على الماضي كما في (إذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها)، أو على المستقبل كما في قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح).

- ظهر أن (إذا) الشرطية قد تكون دالة على التكرار أو الاستمرار، أو ربما دلت على سجية ما في موصوف ما، كل ذلك بمعونة سياق الحال ومعطياته، إذ هو القادر على تحديد دلالة زمنية معينة.
- كما يسترشد بسياق الحال في كشف دلالة الزمان في (إذا) كذلك القول في (كان) وغيرها من الأفعال الماضية أو المضارعة، فإن إغفال الملابسات القولية يضيّع جزءاً كبيراً من الدلالة الزمنية، بل قد يأتي بنتائج خاطئة.
- اتضح أن (إذ) يمكن أن تدل على المستقبل إذا ما استعين بسياق الحال كما في قوله تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا على النار)، وهذا قول جماعة من النحويين كابن مالك وغيره.
- تبين أن أداة التحضيض غير قادرة بمفردها أن تنتج دلالة زمنية معينة من دون الاسترشاد بسياق الحال ومعرفة ملابسات الحدث الكلامي ، فقد يكون المضارع معها ماضياً نحو قوله تعالى: (لولا ينهاهم الربانيون...) لأن الحال حال توبيخ، فلا يناسبه غير الماضي، وهكذا يكون كشف الدلالة الزمنية وتحديد أبعادها مرتبطاً بسياق الحال، وسياق المقال معاً.

الملخص باللغة العربية

هذا البحث محاولة لبيان أثر سياق الحال- بوصفه ظروف القول وملابساته- في الدلالة على الزمان، وتحديد أبعاده في ضوء الظروف الخارجية المحيطة بالكلام، في التعبير القرآني.

وقد تناول البحث بعض النماذج المرتبطة بالزمان في النظام النحوي، كدلالة (إذا) الشرطية، و(إذْ) الظرفية، و(كان) الناسخة، وأسلوب

التحضيض، والمكي والمدني في اصطلاح المفسرين، وعلاقتهما بالزمان.

ومعنى ذلك أنه ليس من الممكن القول إن (إذا) الشرطية تدل على المستقبل اطراداً كما يوهم ظاهر قول النحاة، فهي أحياناً تدل على الزمن الماضي بمعونة سياق الحال المتمثل بظروف الخطاب القرآني وملابساته، وكذلك (إذ) الظرفية، لا يستقيم حملها على الماضي أينما وردت، ففي بعض الأحيان تدل على المستقبل استرشاداً بملابسات الحدث الكلامي.

والأمر مماثل في (كان) الناسخة، فمن العسير أن توصف بزمن مطرد استناداً إلى صيغتها، لأن سياق الحال قادر على صرفها إلى دلالة زمنية مغايرة، فقد تأتي بلفظ الماضي (كان) ولكنها تنطوي على دلالات مباينة للماضي المنقطع.

وكذلك أسلوب التحضيض، إذ لا يمكن وضع قاعدة مطردة في دلالته الزمنية وفقاً للفعل الماضي أو المضارع الواقعين بعد أدوات التحضيض إلا إذا استنطقت الظروف المحيطة بالكلام، فإنها هي المبيّنة للدلالة الزمنية، فصيغة الفعل وحدها قاصرة عن تكوين دلالة زمنية مطابقة لواقع الحدث الكلامي، بل إن سياق المقال وسياق الحال يتشاطران الدلالة الزمنية في التركيب اللغوي.

وأما المكي والمدني عند المفسرين، فقد يتوقف كل منهما على الوقوف على ظروف المخاطبين وتكوينهم الثقافي والمعرفي، ومن ثم فإن الخطاب يأتي منسجماً مع أحوالهم وطبيعتهم وتوجهاتهم، فيكشف ذلك عن زمن الخطاب إذ المدني في الغالب متأخر زمناً عن المكي، وهكذا يقوم سياق الحال بدور كبير في بيان الدلالة على الزمان في التعبير القرآني.

Abstract

This research studies the temporal sense for "If" clauses, and ad verbal, verb to be and, excitation expression, to be studied for according to physical context and spotlighted the effect of the

situational context in the meaning of temporal sense in syntactic structures, the ignore situational contact understanding of may load to miss-understanding.

This doesn't mean "If" clause is un ad verbal for coming time sometimes refers to the past with the ad verbal time and ad verbal cannot be always referred to the past, sometimes refers to the future with the help of situational contact.

And the verb may refer by its farm to limited sense to the other sense, the meaning is the same with the excitation style cannot be used in general basic, that is according to the speech.

هوامش البحث

(١) ظ: ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، ٦ .

(٢) ظ: اللغة العربية معناها ومبناها، ١٠٤ .

(٣) ظ: معاني النحو، ٣: ٢٦٧ .

(٤) ظ: مغني اللبيب، ١: ١٥٨-١٥٩ .

(٥) ظ: دلالة السياق، الطلحي، ٢: ٥٢٠ .

(٦) ظ: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ١٠٤ .

(٧) ظ: الزمن النحوي في اللغة العربية، ٥٧ .

(٨) ظ: مغني اللبيب، ١: ١١٣ ، والهمع، ٢: ١٣١ .

(٩) النصر، ١-٣ .

(١٠) الليل، ١ .

(١١) النجم: ١ .

(١٢) طه: ٢٠ .

(١٣) ظ: الهمع، ٢: ١٣٢ .

(١٤) ظ: شرح الكافية، ٢: ٤٢٤ ، تح: د. يحيى.

(١٥) النصر، ١ .

(١٦) الجمعة، ١١ .

(١٧) ظ: الكشاف، ١١٠٨ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم، ١: ١٧٤ .

(١٨) ظ: الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ١٠٤ .

(١٩) ظ: شرح الكافية، تح: د. يحيى، ٢: ٤٢٣، ومغني اللبيب، ١: ١١٦ .
(٢٠) التوبة: ٩٢ .
(٢١) التبيان في إعراب القرآن، ٢: ٦٥٤ .
(٢٢) ظ: مفاتيح الغيب، ١٦: ١٦٤ ، والبحر المحيط، ٥: ٨٨ ، وروح المعاني، ١٠: ١٥٩ .
(٢٣) ظ: اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٥٦ ، وعلم الدلالة، الخولي، ٥٣ .
(٢٤) ظ: شواهد التوضيح والتصحيح، ٦٣ ، ومغني اللبيب، ١: ١١٦ .
(٢٥) النمل، ١٨ .
(٢٦) آل عمران، ١٥٦ .
(٢٧) الأعراف: ١٣١ .
(٢٨) ظ: المحرر الوجيز، ١: ٥٣٠ .
(٢٩) ظ: شرح الكافية، ٢: ٤٢٣ ، تح: د. يحيى.
(٣٠) البقرة: ١٥٥-١٥٦ .
(٣١) ظ: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ١: ١٧٦ ، وظ: الكشاف: ١٠٤ .
(٣٢) ديوان أبي تمام، شرح الصولي، ٨٠ .
(٣٣) ديوان الكميت، د. نبيل طريفي، ٧٥ .
(٣٤) البقرة، ٢٠٥ .
(٣٥) يونس، ١٢ .
(٣٦) البحر المحيط، ٥: ١٣٣ ، وظ : الكشاف، ٤٥٨ ، ومعاني النحو، ٢: ١٧٨-١٧٩ .
(٣٧) الإسراء، ٨٣ .
(٣٨) ظ: أبو السعود، ٣: ٤٧٧ ، والكليات، ٦٩ .
(٣٩) الروم: ٣٦ .
(٤٠) ظ: تفسير القرآن العظيم، ٦: ٣١٧ .
(٤١) ظ: معاني النحو، ٢: ١٧٩ .
(٤٢) التوبة: ٨٦ .
(٤٣) البحر المحيط، ٥: ٨٤ .
(٤٤) ديوان الفرزدق: ٥١٣ .
(٤٥) الجملة الشرطية عند نحاة العرب، ٢١٣ .

(٤٦) الكتاب، ٤: ٢٢٩ .
(٤٧) الأنعام: ٢٧ .
(٤٨) اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، ١٨٣ .
(٤٩) أمالي ابن الشجري، ١: ٦٧ .
(٥٠) شواهد التوضيح، ٦٢ .
(٥١) ظ: شرح الكافية، ٢: ٤٢٢ ، تح: د. يحيى.
(٥٢) ظ: الجنى الداني، ١٨٨ .
(٥٣) ظ: مغني اللبيب، ١: ١٠٣ .
(٥٤) الهمع، ٢: ١٢٦ .
(٥٥) أسلوب إذْ في الدراسات القرآنية، ٢٦ ، وظ: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ١٤١ ، وما بعدها.
(٥٦) البقرة: ١٦٦ .
(٥٧) ظ: التحرير والتنوير، ٢: ٩٦ ، والمحرر الوجيز، ١: ٢٣٥ .
(٥٨) المائدة: ١١٠ .
(٥٩) ظ: مفاتيح الغيب، ١٢: ١٣٢ ، والدر المنثور، ٥: ٥٩١ .
(٦٠) البيان في روائع القرآن، ٢١٢ .
(٦١) المصدر نفسه، ٢١٢ .
(٦٢) الكتاب، ١: ٤٥ .
(٦٣) الكشاف، ١٨٨ .
(٦٤) شرح الكافية، تح: د. يحيى، ٢: ١٠٢٤ .
(٦٥) ظ: الزمن النحوي لـ (كان) في القرآن الكريم، ١٢ (بحث على الانترنت).
(٦٦) ظ: اللمع في العربية، ٣٦ .
(٦٧) ظ: الهمع، ١: ٣٦٢ .
(٦٨) ظ: معاني النحو، ١: ١٩١ ، والفعل زمانه وأبنيته، ٥٦ .
(٦٩) ظ: البرهان في علوم القرآن، ٤: ١١٢ .
(٧٠) البقرة: ٣٤ .
(٧١) ظ: مفاتيح الغيب، ٢: ٢٥٧ ، وروح المعاني، ١: ٢٢١ .

(٧٢) التحرير والتنوير، ١: ٤٢٦ .
(٧٣) ظ: التحرير والتنوير، ١: ٤٢٦ .
(٧٤) التوبة: ٦٩ .
(٧٥) ظ: معاني النحو، ١: ١٩١ ، ومعترك الأقران، ٢: ٢٤٥ .
(٧٦) ظ: المحرر الوجيز، ٣: ٥٦ .
(٧٧) الأعراف: ١٣٧ .
(٧٨) ظ: التحرير والتنوير، ٩: ٧٩ ، والدلالة الزمنية في الجملة العربية، ٤٧ .
(٧٩) السجدة: ٢٠ .
(٨٠) ظ: أبو السعود، ٤: ٢٩٤ .
(٨١) الإنسان: ٧ .
(٨٢) ظ: تلخيص البيان في مجاز القرآن، ٣٤٤ .
(٨٣) ظ: مفاتيح الغيب، ٣٠: ٢٤٣ .
(٨٤) الأحزاب: ١٥ .
(٨٥) الأعراف: ١١٣ .
(٨٦) ظ: التحرير والتنوير، ٩: ٤٦ .
(٨٧) ظ: المفردات: ٤٦٣ .
(٨٨) ظ: معترك الأقران، ٢: ٢٤٥ .
(٨٩) ظ: الهمع، ١: ٣٨٠ .
(٩٠) الأحزاب: ٤٠ .
(٩١) الأحزاب: ٢٧ .
(٩٢) الأحزاب: ٣٧ .
(٩٣) شرح الكافية، تح: د. يحيى، ٢: ١٠٣٣ ، وظ: تأويل مشكل القرآن: ٢٩٦ ، والمحتسب، ١: ١١٤ .
(٩٤) التذييل والتكميل، ٤: ٢١٢ ، وظ: الزمن في شعر زهير بن أبي سلمى: ١٧٣ ، ومن أسرار اللغة: ١٧١ .
(٩٥) ظ: التسهيل، ٢٤٣ ، وشرح الكافية، تح: د. يحيى، ٢: ١٣٨٦ .
(٩٦) ظ: مغني اللبيب، ١: ٢٨٩ .

(٩٧) ظ: شرح المفصل، ٨: ١٤٤ .
(٩٨) ظ: التسهيل: ٢٤٤ .
(٩٩) من شواهد شرح المفصل، ٨: ١٤٤ ، وشرح الكافية، تح: د. يحيى، ٢: ١٣٨٧ ، ومغني اللبيب، ٢: ٢٨٩.
(١٠٠) ظ: شرح المفصل، ٨: ١٤٤ ، وشرح الكافية، تح: د. يحيى، ٢: ١٣٨٦ ، ومغني اللبيب، ١: ٢٨٩ .
(١٠١) المائدة: ٦٣ .
(١٠٢) النّمل: ٤٦ .
(١٠٣) ظ: البحر المحيط، ٣: ٥٣٢ .
(١٠٤) ظ: الميزان، ١٥: ٣٧٤ .
(١٠٥) شرح الكافية، ٢: ١٣٨٦ ، تح: د. يحيى .
(١٠٦) المنافقون: ١٠ .
(١٠٧) ظ: مغني اللبيب، ١: ٢٨٩ .
(١٠٨) ظ: البرهان في علوم القرآن، ١: ٢٧٦ .
(١٠٩) السياق القرآني وأثره في التفسير، ٣١٣ .
(١١٠) المكي والمدني في القرآن الكريم، ٢١ .
(١١١) ظ: البرهان في علوم القرآن، ١: ٢٧٤ ، والإتقان، ١: ٢٠ .
(١١٢) ظ: الإتقان، ١: ١٩ .
(١١٣) ظ: دلالة السياق، الطلحي، ٢: ٤٨٧ .
(١١٤) ظ: السياق القرآني وأثره في التفسير، ٣١٢ – وما بعدها .
(١١٥) ظ: مناهل العرفان: ١: ١٦٢ .
(١١٦) المصدر نفسه: ١: ١٦٣ .
(١١٧) ظ: دلالة السياق، الطلحي، ٢: ٤٨٧ .

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم، كتاب الله تعالى.
❖ اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دكتور محمد عبد الرحمن الريحاني، دار

قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
❖ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي (ت٩١١هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد سالم هاشم، منشورات ذوي القربى، ١٤٢٩هـ، الطبعة الثانية.
❖ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، لقاضي القضاة أبي السعود العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة.
❖ أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية واللغوية والنحوية، الدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.
❖ أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
❖ البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي معوض، الدكتور زكريا عبد المجيد النوشي، الدكتور أحمد النجولي الجمل، تقريظ الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م.
❖ البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الشيخ جمال حمدي الذهبي، الشيخ إبراهيم عبد الله الكردي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م.
❖ البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م.
❖ تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م.
❖ التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري (٦١٦هـ)، تحقيق: محمد علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
❖ التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.
❖ التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق.

❖ تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية.
❖ الجملة الشرطية عند نحاة العرب، أبو أوس إبراهيم الشمسان، تقديم الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م.
❖ الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م.
❖ دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.
❖ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
❖ الدلالة الزمنية في الجملة العربية، د. علي جابر المنصوري، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢م.
❖ ديوان الفرزدق، شرح وضبط الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.
❖ ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتعليق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
❖ الزمن النحوي في اللغة العربية، د. كمال رشيد، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٨م.
❖ شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: الدكتور يحيى بشر مصري، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، المملكة العربية السعودية، الإدارة العامة للثقافة والنشر.
❖ شرح الصولي لديوان أبي تمام، دراسة وتحقيق: الصولي، د. خلف رشيد نعمان، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، الطبعة الأولى، سلسلة التراث.
❖ شرح المفصل، لموفق الدين ابن يعيش (٦٤٣هـ)، إدارة المطبعة المنيرية بمصر.

❖ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك الأندلسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: الدكتور طه محسن، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
❖ علم الدلالة (علم المعنى)، د. محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، عمّان.
❖ الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م، بيروت، شارع سوريا.
❖ الكتاب كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م.
❖ الكليات، لأبي البقاء الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: الدكتور عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.
❖ اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، ١٩٩٤م.
❖ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم نجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م.
❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، مطبعة استانبول، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م.
❖ معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مؤسسة التأريخ العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، دار إحياء التراث العربي.
❖ معترك الأقران في إعجاز القرآن، للإمام السيوطي (ت٩١١هـ)، ضبط: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
❖ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الصادق، إيران، تهران، مطبعة شريعت، الطبعة الأولى.
❖ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، للإمام الفخر الرازي (٦٠٤هـ)، دار الفكر، الطبعة

الأولى، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م.
❖ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، ضبط هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
❖ المكي والمدني في القرآن الكريم، د.محمد عبد الرحمن الشايع، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، جامعة محمد بن سعود، الرياض.
❖ من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م، مكتبة الأنجلو المصرية.
❖ مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي.
❖ الميزان في تفسير القرآن، للعلامة الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للإمام السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

❖ دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤١٨هـ، رسالة دكتوراه.
❖ الزمن في شعر زهير بن أبي سلمى، دراسة تطبيقية، أمل حميد محمد الطويرقي، رسالة ماجستير، السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٦م.
❖ السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين، ١٤٢٩هـ .

المجلات والدوريات:

❖ الزمن النحوي لـ (كان) في القرآن الكريم، محمد الوقفي، جامعة جدارا، للتميز، بحث على الانترنت.
❖ ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، د. محمد اسماعيل بصل، وفاطمة بلة، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد الثامن عشر، ٢٠١٤م.